آراء أبي زكريا الفرّاء في القصر والمد في معجم «تاج العروس» للزبيديّ

د. ماجدة علي يوسف
أستاذة، كلية الآداب/ جامعة الكوفة

ملخص

تشتمل المعاجم العربية على ما لا يحصى من الآراء اللغوية للعلماء لغويين كانوا أم نحويين الأمر الذي جعل الباحث اللغوي لا يستغني عن الرجوع إليها ،سواء أكان بغاية التحقق من صحة استعمال معين ،أو للتعرف على المعاني التي تحتملها المادة اللغوية ،أو لتمييز المستعمل من غيره في اللغة ، ونتيجة لذلك سعى البحث إلى الوقوف عند آراء أحد أبرز علماء اللغة وهو أبو زكريا يحيى الفراء(207هـ) الواردة في معجم تاج العروس للزبيدي ،وذلك من خلال دراسة رأيه في "المقصور والممدود" ،والتثبت من صحة ما نقله الزبيدي عنه بمقارنة ذلك بما ورد في مؤلفات الفراء، ومن تبعه من علماء اللغة.

توطئة

إنّ من أبرز علماء اللغة الكوفيين التي نقل عنهم أصحاب المعاجم أبا زكريا الفرّاء؛ ذلك بأنّه لم يكن نحويا فحسب ، بل لغويا حاذقا ،وقد أفاد الباحثون من آرائه اللغوية في الاستشهاد بالاستعمالات الفصيحة للغة ،أو في الاستدلال على صحة استعمال معين في مسموع كلام العرب سواء أكان رأيا نحويا أم لغويا ؛فمن المعروف عن الفراء اهتمامه بالمسموع عن العرب ، ومن أهم الموضوعات التي يكثر العلماء من الاستشهاد بكلام الفراء فيها موضوع المقصور والممدود ،حتى أنّه ألف مصنفا بهذا العنوان ؛لأهمية هذا الموضوع عنده ،وقد عرّف القدماء المقصور بأنه : ما كان آخره ألفا» مفتوحا ما قبلها، كالعصى والرضى ، وأما الممدود فهو ما كان بعد ألفه همزة، كالكساء والرداء[1].

وقد اعتاد الباحثون أن يعدوا هذا الموضوع من الموضوعات الصرفية المستقلة

فألفوا فيه رسائل وكتب مستقلة[٢]؛ لذلك فهم يدرسونه في المبحث الصرفي، وما نراه أنّ علاقة علم الصرف بالقصر والمدّ تنحصر عند تثنية الاسم المقصور والاسم الممدود وجمعهما، وأما اختلاف العلماء في قصر طائفة من الأسماء وفي مدّها فهو مسألة صوتية؛ لأنّ لها صلة بلهجات العرب، ومن أمثلة ذلك ما ورد في تاج العروس:

فحوى, فحواء

جاء في التاج: الفَحا بالفتح مقصور و يكسر، قال الجوهريّ: والفتح اكثر،....أنشد أبو علي القالي في الممدود والمقصور للراجز[٣]:

كأنما يردن بالغبوق كيل مِداد من (فَحًا مدقوقِ)، كالفحواء بالمدِّ ,أو يابِسُه ،أفحاءٌ)[٤].

وفَحْوَى الكلام وفَحواُؤهْ بالقصر والمدً وفُحواؤه كغُلوائِهِ نقله ابن سيده، والجوهري والصاغاني[٥] عن الفراء و على الأوليين اقتصر الجوهري والازهري)[٦].

وقد ذكر الزبيدي أنّ الأزهري اقتصر على الاثنين، أي (فحوى، وفَحواء) المفتوحتي الفاء، وبالرجوع الى معجم «تهذيب اللغة» وجدنا أن الأزهري ذكر الثلاثة معا، المقصورة، والممدودة بفتح الفاء وضمها، ونص التهذيب :((عن ثعلب أنه قال: يقال في فَحْوى كلامه أي معناه وفَحواءِ كلامه، وفُحواءِ كلامه)[٧]، وهذا يعني أنّ الزبيديّ لم ينقل كلام الأزهري بدقة كما ورد في التهذيب.

وأما ما نقله الزبيدي عن الجوهري فصحيح؛ إذ جاء في صحاح العربية) : فَحوى القول: معناه ولحنُه . يقال: عرفت ذلك في فَحْوى كلامه وفي فحواء كلامه ممدودًا ومقصورًا ...والفَحا مقصورا : أبزار القدر بكسر الفاء و الفتح وأكثر والجمع أفحاء)[٨]. فالجوهريّ في هذا النص قد اقتصر على (فَحوى) الممدودة و المقصورة بفتح الفاء فحسب، ولم يذكر المضمومة.

ورفض أبو زيد الأنصاري (٢١٥) أن تكون (فحوى) ممدودة؛ استنادا الى ما قاله من أنه لم يسمع ذلك عن العرب[٩].

قال: (سمعت من العرب من يقول فَحوى، يفتح الحاء مقصورة ولا يجوز مدّها)[١٠]. وهذا القول مطابق لرأي ابن سيده في حالة الفتح لا يجوز المدّ، وهذا النص ابن

سيده في مخصصه: (وفحوى يمد ويقصر يقال عرفت ذلك في فَحوى كلامه وفَحواء كلامه وفُحوائه بضم الفاء وفتح الحاء ومدها، واذا فتحنا لم يجز المدَّ)[١١] ،وقال الزمخشري: (عرفته من فَحوى كلامه بالقصر وبالمد)[١٢].

مادة قلو:

نقل الجوهري قولا للفراء خطأه فيه قال : (هذا مما خطأ فيه الفراء في المقصور والممدود وهو قوله : (القَلوْلى الطائر، وإنما يقال اقلوْلَى فجعل الفعل اسًما وأدخل عليه الألف ، اللام)[١٣] .

ونقل صاحب المحكم قولا لأبي عبيد قال: (قَلَوْلى الطائر جَعَلَه علما أو كالعلم)[١٤]، فأخطأ في ذلك ونقل ابن برّي[١٥]. عن المهلبي[١٦]، وغيره قَلَوْلَى قال: (ولا يقال إلاْ مقْلولٍ في الطائِر مثل محْلَوَلٍ)[١٧].

وقد انصف أبو الطّيّب الفراء فيما تقدم وقال: أخطأ من رَدّ على الفراء قلَوْلَى؛ وأنشد لحميد بن ثور يصف قَطًا[١٨]:

وقَعّن بجوْف الماءِ ثم تصوَّبَتْ بهن قَلَوْلاةْ الغْدْوِ ضَرْوبْ)[١٩].

والقالي: الذي يضرب القْلة بالمِعْلَى؛ والجمع قْلاةْ وقَالّون.

مادة موه :

ومن جملة الألفاظ الممدودة والمقصورة التي ذكرها الزبيدي لفظ(ماء)، وقد اختلف العلماء في أصل هذا اللفظ مما أدى إلى تباينهم في عدّه من المقصور أو الممدود ،وقد ذكر الزبيدي جملة من آراء علماء اللغة ،ومن ضمنهم الفراء فقال: (قال الليث : الماء مدته في الأصل زيادة، وإنّما هي خلف من هاء محذوفة، ومن العرب من يقول : ماءة – كبني تميم يعنون الركية- بمائها ،فمنهم من يرزيها ممدودة» ماءةٌ» ومنهم من يقول: «هذه ماةٌ « مقصورٌ ...وقال الفراء: يوقف على الممدود بالقصر والمدِّ شَرِبت مَاء قال : وكان يجب أن تكون ثلاث لغاتٍ، قال : وسمعتْ هؤلاء يقولون شرِبت ميْ ياهَذا ، فشبَهوا الممدود بالمقصور، والمقصور بالممدود ؛ وأنشد: (يارُبّ هيجا هِي خيرٌ من دَعَه)[٢٠] ، فقصر وهو ممدود ، وشبهه بالمقصور)[٢١] ثمّ قال: (وسُمع اسقني مَا بالقصر على أن سيبويه قد نفى أنّ يكون اسمٌ على حرفين أحدهما التنوين)[٢٢] ، وفيما يبدو من قول الفراء أن لفظة

(ماء) عنده من الأسماء الممدودة ،وعند الوقف يقصر ويمد أي: (ما) و(ماء) .

مادة فدي

ذكر صاحب التاج قول الفراء في مادة (فدي) قال : (قال أبو علي القالي في المقصور والممدود قال الفراء: إذا فتحوا الفاء قصروا، وإذا كسروا الفاء مدّوا وربّما كسروا الفاء وقصروا فقالوا فِدى لك، قال متمم بن نويرة[٢٣] :

فِداءً لممساك ابن أمي وخالتي وما فوق الشِّراكين من نـــــعلِ

وبزي وأثوابي ورحـــــلي لذكره ومالي لو يجدي فِدًى لك من بذل[٢٤].

إنّ الذي يفهم من الكلام الذي نقله صاحب التاج عن الفراء أنّ (فِداء) له وجهان من حيث القصر والمدّ؛ الأول الفتح والقصر، أي: (فَدى)، والثاني الكسر والمدّ (فِداء) واحيانا قليلا يكسر مع القصر، أي: (فِدى) وقد جاء بالوجهين في شعر متمم (فِداءً لممساك ... وفدًى لك) وأنشد الفراء : (فدًى لك عمتي...)[٢٥]. ، والظاهر أن فَدى الواردة في البيتين قد قصرت للضرورة وإن لم ينبه الفراء على ذلك وقد نقل عن أبي علي أنه قال : (سمعت علي بن سليمان الاخفش يقول : لا يقصر الفِداء بكسر الفاء الا للضرورة وإنما المقصور هو المفتوح الفاء)[٢٦].

فالأخفش عنده الكسر مع المدّ؛ إذ الكسر لازم للمدّ لا القصر، بيد أن الفراء في كتابه المنقوص والممدود قال ما نصه : والفِداءُ يمدّ ويقصر وأوله الكسر قال الشاعر[٢٧]:

أقول لها وهن ينهزن فروتي فدًى لك عمّي إنْ زلجت وخالي[٢٨].

ومعنى ذلك أن القصر والمدّ سيّان عند الفراء فيما كان اوله مكسور أي (فِدى-فِدا) وأما القصر مع الفتح فلازم عنده لأنه قال: (ويفتح فيقصر لا غير سمعتهم في كلامهم يقولون: فَدًا)[٢٩] ، ويتم الزبيدي قوله: (ونقل الأزهري عن الفراء ما نقله أبو علي القالي بعينه ثم قال: وقال مَّرة : ومنهم من يقولْ : فَدّى لك ، فبفتح الفاء ، وأكثر الكلام كسرها والقصر ، وأنشد للنابغة[٣٠] : فَدًى لك من رب طريفي وتالدي ...)[٣١].

وما وجدناه في كتاب « المنقوص والمقصور» للفراء غير ما نقل عنه، فحاصل كلام الفراء أن القصر لازم مع الفتح أي (فَدى) وأما الكسر فالمتكلم بالخيار بين المدّ والقصر، والدليل أنّه قال: (الفِدا يمدّ ويقصر وأوله مكسور)[٣٢].

وقد لحظ محقق التاج جانبا من الخلط الذي لاحظناه فعلّق بقوله: : (وكأن قول المصنف :»ويُفتح» ينظر الى هذا القول الذي نقله الأزهري عن الفراء بأن الكسر مع القصر هو الراجح، والفتح مرجوح، وما نقله أبو علي عن الفراء والأخفش يخالف ذلك، وكلام الجوهري موافق لما قاله الاخفش حيث قال : الفْداءْ اذا كُسر أوله يُمدّ ويقصر واذا فُتح فهو مقصور)[٣٣]. ومفهوم ذلك الفتح والقصر متلازمان ، أما الكسر والقصر فجائز عند الفراء.

مادة (لوب)

جاء في التاج : (واللُّوباء بالضم ممدودا: قيل هو اللوبياء عند العامة ، يقال: هو اللُّوبياء واللّوبيا واللّوبياج مذكر ، يمدّ ويقصر ... وقال الفراء : هو اللّوبِياء ، والجُودياء ، البُورياء ،كلها على فُوعِلاء...)[٣٤]، والظاهر من كلام الزبيدي أنّ (اللوباء) تمدّ فحسب ، وأما (اللُّوبِياء) فتدّ وتقصر، ويبدو أنّ الأخيرة -(اللّوبياء)- عند الفراء ممدودة فحسب ؛إذ لم ينقل الزبيدي سوى هذا الوجه عنه.

مادة قرو:

جاء في تاج العروس : (والقَرْواء ، بالفتح ممدودًا ،يقال : رجع فلان إلى قروائه أي عادته. وقال أبو عليّ في» المقصور والممدود» : وحكى الفراء لا ترجع الأمَة إلى قروائها؛ كذا حكى عنه ابن الأنباري في كتابه ولم يفسره ،واستفسرناه فقال: على اجتماعها...)[٣٥]. وقال أيضا : (والقَرْواء : جاء به الفراء في حروف ممدودة مثل المَصْواء، وهي الدبُر)[٣٦].

والذي يظهر مما نقله الزبيدي عن الفراء أنّ (القَرواء)لا تكون مقصورة –أي قروى- بل ممدودة، ولكنّها تحمل معنيين حين تكون ممدودة بحسب ما نقله عن الفراء.

الخاتمة :

ومن جملة ما توصل إليه البحث ما يأتي:

إنّ معجم تاج العروس للزبيديّ يفوق المعاجم الأخرى في كثرة إيراده لآراء العلماء اللغويين من الطائفتين البصرية والكوفية ،وإن كان يكثر النقل عن الأخيرة.

يكثر صاحب التاج من النقل عن الفراء ،ومما لحظه البحث عليه هو أمانة النقل، لكنه في بعض الأحيان يكتفي بالنقل عن أبي علي القالي الذي بدوره ينقل عن الفراء مما

جعله يفتقر إلى الدقة في نقل رأي الفراء ، وهو ما وجدناه في (فدى وفداء) ؛إذ نقل عن الفراء ما يوهم بجواز الكسر والفتح مع القصر، في حين أن الفراء ذكر في كتابه المنقوص والمقصور أن الفتح لازم للقصر لا غير .

ومن جملة الأمور التي لم تكن دقيقة النقل ، ماذكره صاحب التاج من رأي الأزهري في (فحوى) ؛إذ ذكر الزبيديّ أن الأزهري اقتصر على ذكر وجهين في هذه الكلمة هما المد والقصر بفتح الفاء أي (فَحوى – فَحواء)، في حين أنّ الأزهري في نصّ التهذيب وجدناه قد ذكر الأوجه الثلاثة ،أي الوجهين السابقين مضافا إليها الوجه الثالث وهو ضم الفاء مع المد (فُحواء).

ومن الألفاظ التي لا تكون مقصورة عند الفراء بحسب رواية الزبيديّ (ماء)و(قرواء) و(لوبِياء) فهي عند الفراء ممدودة فقط.

الهوامش

١. التكملة ٢١/٢ ، وشرح الشافية ٣٢٤/٢.
٢. المنقوص والممدود للفراء ، والمنقوص والممدود لابن السكيت ، والمنقوص والممدود لابن ولاد ٣٣٢.
٣. الرجز بلا نسبة في جمهرة اللغة : ١١٥، وأساس البلاغة : (فحو) ،ولسان العرب : (مدد) و(فحا) .
٤. تاج العروس ٢١٨/٣٩ ، وينظر : المخصص ١٥/٥ ، وسماح العربية ١٦وينظر: المقصود والممدود لابي علي القالي ص١١٠ وورد الرجز هكذا (كأنما يبردن بالفيوق...كيل مداد من فما مدقوق) يبردن وليس يردن، ثم فَحا وفِحا بالفتح والكسر والفتح أكثر.
٥. الحسن بن محمد الصاغاني ،حامل لواء اللغة في زمانه ، لها عدة تصانيف أشهرها كتاب العباب الزاخر في اللغة، توفي (٦٥٠)، ينظر بغية الوعاة للسيوطي: ٥١٩/١- ٥٢٠.
٦. تاج العروس: ٢١٩/٣٩.
٧. التهذيب اللغة :١٦٩/٥ ، وينظر : تاج العروس ٢٢٠/٣٩ ، وينظر : المخصص ٥/٥.
٨. صحاح العربية: ٢٤٥٣/٦ ، وينظر : تاج العروس ٢٢٠/٣٩.
٩. ينظر : تاج العروس: ٢٢٠/٣٩.
١٠. تاج العروس ٢١٩/٣٩ ولم أجد هذا النص في جمهرة اللغة لابي زيد الأنصار والذي وجدته هو (فحوى يقال : عرفت ذاك في فحوى كلامه عليه، أي ما دل عليه) جمهرة اللغة ١٢٣١/٣.
١١. المخصص: ١٥/٥.
١٢. ١٢ ()تاج العروس: ٢١٩/٣٩.
١٣. ١٣ (١٣) المصدر نفسه: ٣٤٠/٣٩.
١٤. تاج العروس: ٣٤٠/٣٩.

١٥. ابن بري : هو أبو محمد عبد الله بن بري المصري المقدسيّ ، كان عالما بكتاب سيبويه ، قيما باللغة وشواهدها ،توفي ٥٨٢هـ، ينظر : سير أعلام النبلاء : الذهبي : ١٣٦- ١٣٧

١٦. هو علي بن أحمد المهلّبي اللغوي ،كان إماما في النحو واللغة ورواية الأخبار وتفسير الأشعار (ت٣٨٥) ينظر: معجم الأدباء (إرشاد) الأديب الى معرفة الاديب: ٥٤١/٣.

١٧. تاج العروس: ٣٤٠/٣٩

١٨. ديوان حميد بن ثور : ٢٨.

١٩. المصدر نفسه: ٣٩/ ٣٤٠ .

٢٠. البيت من الرجز في ديوان لبيد العامري: ٣٤٠.

٢١. تاج العروس: ٣٦ /٥٠٧.

٢٢. المصدر نفسه: ٥٠٧/٣٦

٢٣. مالك ومتتم ابنا نويرة اليربوعي : ابتسام الصفار : ١٣٣.

٢٤. المصدر نفسه ٢٢٠/٣٩ ، وينظر: المقصور والممدود لابي علي القالي: ١١٢.

٢٥. المنقوص والمقصور : ٢٦ ، والبيت: اقول لها وهن ينهزن فروتي فِدى لك عَمتي أن زلجت وخالي

٢٦. تاج العروس ٢٢٠/٣٩.

٢٧. البيت غير منسوب في لسان العرب (فدا)،

٢٨. المنقوص والممدود: الفراء: ٢٦.

٢٩. المقصور والممدود: الفراء: ٥٣.

٣٠. البيت من الطويل وهو عجز بيت صدره : (تخبّ إلى النعمان حتى تناله فدى لك من ربّ طريفي وتالدي) ،ينظر: ديوان النابغة: ١٧٠.

٣١. تاج العروس ٣٩/ ٢٢٠.

٣٢. المنقوص والممدود: ٢٦.

٣٣. تاج العروس: ٢٢١/٣٩ ، وينظر الصحاح ٢٤٥٣/٦.

٣٤. تاج العروس: ٤/ ٢٢٣.

٣٥. المصدر نفسه: ٢٩٣/٣٩.

٣٦. المصدر نفسه: ٣٩/ ٢٩٣.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أساس البلاغة : لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (٥٣٨ ه): تح: محمد باسل عيون السود ,دار الكتب العلمية ,بيروت ,لبنان ،ط١,١٤١٩هـ-١٩٩٨م .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين السيوطي(٩١١ه) : تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ، لبنان – صدا ، د.ت.
- تاج العروس من جواهر القاموس ، لأبي الفيض السيد محمد مرتضى الزبيدي(ت: ١٢٠٥ هـ) تح : مجموعة من الاساتذة ، مطبعة حكومة الكويت، سلسلة تصدرها وزارة الارشاد والانباء في الكويت ١٩٦٩-٢٠٠١م

- التكملة وهي الجزء الثاني من الايضاح العضدي: لأبي علي الفارسي(٣٧٧هـ):تح:د٠حسن شاذلي فرهود, جامعة الرياض ,السعودية, ط١ ,١٩٨١م ٠
- تهذيب اللغة لابي منصور الازهري (ت: ٣٧٠هـ) تح: عبد السلام محمد هارون وآخرين ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م
- جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) ، تح :رمزي منير بعلبكي , دار العلم للملايين-بيروت ,ط١ , ١٩٨٧م
- ديوان حميد ابن ثور الهلالي، تح : د. محمد شفيق البيطار ، التراث العربي ،الكويت ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م٠
- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تح: الدكتور إحسان عباس، سلسلة التراث العربي، الكويت، ١٩٦٢.
- ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت(ت٢٤٤هـ)، تحقيق شكري فيصل، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٩٦٨م.
- سير أعلام النبلاء : محمد بن أحمد الذهبيّ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- شرح ديوان المفضليات لابن محمد القاسم بن محمد بن بشار الانباري (ت: ٣٠٤هـ) عناية كارلوس يعقوب، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٢٠م
- شرح الملوكي في التصريف لابن يعيش، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة
- الصحاح (تاج العروس وصحاح العربية), لإسماعيل بن حماد الجوهري(ت:٣٩٣هـ), تح: أحمد عبد الغفور عطار,ط٢ ،١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- لسان العرب لابي الفضل جمال الدين بن منظور (ت: ٧٧١هـ) دار صادق، بيروت، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.
- مالك ومتتم ابنا نويرة اليربوعيّ: ابتسام مرهون الصفار، طبع جامعة بغداد، ١٩٦٨م.
- المحكم والمحيط الاعظم في اللغة علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده (ت:٤٥٨ هـ)
- تح : مجموعة من العلماء ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط١ ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م.
- المخصص: لابن سيده(ت٤٥٨هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت.
- معجم الادباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: شهاب الدين أبو ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت:٦٢٦ هـ), تح: إحسان عباس, دار الغرب الإسلامي ,بيروت ,ط١ , ١٤١٤ هـ -١٩٩٣ م.
- المقصور والممدود: لآبن السكيت (٢٤٤ هـ) ,تح: د. محمد محمد سعيد, مطبة الامانة بمصر , ط١ , ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥ م.
- المقصور والممدود :لأبي علي القالي (٣٥٦هـ), تح: د٠ أحمد عبد المجيد هريدي , مكتبة الخانجي , القاهرة,ط١ , ١٤١٩هـ -١٩٩٩م .
- المقصور والممدود: لأبي زكريا يحيى بن الفراء (ت: ٢٠٧هـ) ،أخرجه:عبد العزيز الميمني ,دار قتيبه, ط١,١٤٠٣هـ- ١٩٨٣ م.
- المقصور والممدود: لأبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن ولاد (ت: ٣٣٢هـ) تصحيح السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط١ ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م.